اللاّمعيارية لدى المناهضين والمتشككين في الإمام الحسن عليه السلام قبل وبعد الصلح

دراسة تحليلية

Anomie of the Opponents and Skeptics of the Imam Al-Hasan Pre / Post Reconciliation

(Analytic Study)

م. د. حليم صخيل العنكوشي

وزارة التربية العراقية . مديرية تربية الديوانية

Lacturer. Dr. Haleem S. AL-Anqooshi

Iraqi Ministry of Education

Education Directorate of Diwania

Haleim69@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم اللامعيارية (الأنوميا) الذي يُعد حالة من حالات اختلال القيم والمعايير ونمطا من أنماط السلوك المنحرف ، وقد تعني انعدام الثقة أو الشك وترتقي في بعض الحالات لتصل الى مستوى الاضطراب وعدم اليقين، وهي مصداق لانهيار المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك.

ولانتشار اللامعيارية في مجتمع من المجتمعات عدّة مؤشرات فيُعد معدلها عالياً على مستوى النظام الاجتماعي عندما يسود المجتمع نقص في الإجماع على المعايير، وعندما تسوده علاقات تبنى على الشك وعدم تصديق الآخرين، وتدني حالة الأمن والأمان، واذا وصل معدل اللامعيارية الى المستوى الذي لا يستطيع الناس أن يتفقوا بدرجات كافية في أن يكون سلوك الآخرين مطابقاً للمعايير المشروعة، فإن هذا يعني أن أزمة اللامعيارية هي أزمة اجتماعية وليس أزمة تخص جماعة محددة من أعضاء المجتمع.

إن نظرية اللامعيارية تصلح لتفسير مجال واسع من أنماط السلوك المنحرف، وعليه يمكن أن تبذل محاولة للاستفادة منها في تفسير الأسباب التي تجعل مناهضي الإمام الحسن عليه السلام يلجؤون الى وسائل غير اخلاقية للوصول الى أهدافهم، وقيام أفراد كانوا قريبين من الإمام عليه السلام ويحتلون مراكز اجتماعية مرموقة باستغلال هذه المراكز للوصول الى المال والتشكيك بإمامهم الذي يفترض أن يكون معصوما من الزلل.

ونظرا لأهمية هذا المفهوم في تفسير هكذا سلوكيات ؛ لذا شرع الباحث بتتبعه والوقوف عنده ومعرفة الآراء النفسية التي تفسره، فضلاً عن أن هذا البحث يساهم في إبراز مظلومية الإمام الحسن عليه السلام سواء من المناهضين أو من أصحابه المشككين وكذلك تسليط الضوء على تلك الحقبة من الزمن التي عاشها عليه السلام التي لم تشبع بحثاً وتقصياً على حد علم الباحث.

ABSTRACT

The present study tackles the concept of anomie fraught with all the sorts of deviation from principles, standards and patterns and the lack of confidence, skepticism, sometimes it reaches the highest state of confusion and unfaith and could be a tocsin to the deterioration of the social decorum dominating the behavior.

The more the state of anomie prevails in any society the more the social chaos rises to being. Besides such a theory could be a means to analyse the human conducts in specificity to dissect the mere motives of the opponents and skeptics of the imam Al-Hasan into their real facts, so the importance of such a locus calls itself to have the current paper elucidate the psychological opinions and the acts of injustice the imam Al-Hasan suffers from.

أهمية البحث

١. أهمية الحقبة الزمنية قبل صلح الإمام الحسن عليه السلام وبعده وما يشوبها من غموض مما يدفع الباحثين لمعرفتها.

٢. قدرة النظرية اللامعيارية على تفسير السلوكيات المنحرفة التي استعملها مناهضو الإمام الحسن عليه السلام، والتبريرات غير المنطقية للمشككين في حصافة الامام الحسن عليه السلام وكياسته فضلاً عن تشكيك بعض من أصحابه بإمامته.

٣. أتاح لي هذا البحث أن أتعرف مواقف الفرق التي عاصرت إمامته عليه السلام، وأن أوازن بين تلك الآراء.

٤. أتاح لي هذا البحث أن أدرس واحداً من أهم الشخصيات الإسلامية وهو الإمام الحسن عليه السلام.

منهج البحث

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك بتحليل الروايات الواردة وتفسيرها على وفق النظرية اللامعيارية. وانسجاماً ومنهج البحث التاريخي فقد قسمت بحثي هذا على المقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

شمل المبحث الأول تعريفاً مقتضباً بصلح الإمام الحسن عليه السلام والظروف التي أدت اليه، فيما جاء المبحث الثاني ليقف عند مفهوم اللامعيارية. أما المبحث الثالث فهو لتفسير الأساليب اللاقيمية لدى المناهضين للإمام الحسن عليه السلام قبل الصلح بحسب مفهوم اللامعيارية. وخصص المبحث الرابع لتفسير نمط السلوك

التشككي والتبريرات اللامنطقية وغير المتسقة لدى المشككين به عليه السلام بعد الصلح. وخلص البحث الى أن الاساليب والسلوكيات التي اتبعها المناهضون والمتشككون قبل الصلح وبعدهاعلى حد سواء كانت تمثل انحرافا قيميا وأخلاقيا ودينيا بامتياز وتفتقر الى قاعدة أو معيار أو ضابطة اجتماعية. وقد ذكر الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات لاستكمال متطلبات البحث.

إطار نظري

أولاً: تعريف مقتضب بصلح الإمام الحسن عليه السلام والظروف التي أدت اليه

بعد مقتل أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام تسلّم الإمام الحسن عليه السلام الخلافة التي كانت تغطّي أقساماً واسعةً من العالم الإسلامي، تشمل فارس وخراسان، واليمن والحجاز، والكوفة والعراق. وكانت هناك مناطق يسودها القلق والاضطراب، على الرغم من أنّ أهلها يدينون له بالطّاعة، وكان عليه أن يواجه أسوأ القادة الذين كانوا قد تسلّموا مناصبهم في ذلك الحين، وجلّهم من بني أميّة، وقد كانوا منذ سنواتٍ طويلة في انتظار هذه المناصب، ليخضموا مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع. ودامت خلافته نحو سبعة أشهر [ابن الأثير: ٢٠١٢، ٤٩١].

وعند الحديث عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام، فإنّه يتبادر مباشرة للذهن صُلحه، أو المعاهدة التي أبرمها في ظل ظروف صعبة مع معاوية بن أبي سفيان، وكأنّ حياته عليه السلام كلّها تُختزل في هذا الصلح.

أدرك الإمام عليه السلام منذ الأيّام الأولى لخلافته أن معاوية يضمر له السّوء ويستعدّ لحربه. فبعث بعددٍ من رُسله إلى حكّام المدن والولايات، يطلب منهم الاستعداد

والتأهّب للقتال، وأرسل إلى معاوية كتاباً يلقي عليه فيه الحجّة، وينصحه ويبصّره بعواقب أعماله، ويبيّن فيه حقّه وجدارته بالخلافة، وأنّ الحرص على الإسلام ووحدة المسلمين يقتضي البعد عن الحرب والخصام، ويدعوه إلى أن يستجيب لدواعي العقل وفروض الطّاعة، وألاّ تأخذه العزّة بالإثم، فيورد نفسه موارد الهلاك، ويورد الأمّة الإسلامية موارد الفتنة والخلاف، ثمّ يتوعّده أخيراً بالقتال إن لم يستجب، حتّى يحكم الله بينهم. فقد كثُرت الرسائل المتبادلة بين الإمام عليه السلام ومعاوية، وكان أهمّها كتاب الإمام عليه السلام له بوجوب التخلّي عن انشقاقه والانضواء تحت لوائه الشرعي، إلاّ أنّ معاوية رفض ذلك، وكان جوابه الأخير لرسولَي الحسن عليه السلام إليه، أنّه قال لهما «ارجعا فليس بيني وبينكم إلاّ السيف».

جهز الإمام عليه السلام بعد أن يئس من اصلاح معاوية جيشا كبيرا، بلَغ بحسب بعض الروايات أربعين ألفاً أو أكثر، ولكنّه ضعيف في معنوياته متشتت، وأُصيب عليه السلام بخيبة أمل كبيرة حينما انكشف له واقع الجماهير التي يقودها، التي أثّرت فيها الدسائس والدعايات الأُمَوية، فقد تمكّن معاوية من بثّ الإشاعات المضلّلة في صفوف جيش الإمام عليه السلام، ولم يمضِ وقت طويل حتى طغَت على السطح كلّ العِلَل، التي تفشّت في معسكر الإمام عليه السلام فشاعت الفتن والاضطرابات والتمزق وتآمر على القيادة ذاتها نتيجة الانهيار النفسي والمعنوي الذي أصاب صفوف الجيش.

إن المجتمع المتناقض الذي عاصر الإمام المجتبى عليه السلام كان يشمل على:

١. المناصرين للحزب الأموي.
٢. الخوارج الذين يوجبون محاربة الفريقين.
٣. المسلمون المَوالي الذين وفدوا إلى العراق من مناطق أُخرى إذ بلغ عددهم العشرين ألفاً.

٤. جماعة شكّاكون بلا عقيدة ثابتة يتأرجحون بين تأييد هذا التيار وذاك.
٥. القلة من الخُلّص.

وقد أيقن معاوية أن استيلاءه على السلطة بقوّة السلاح لا يعطيها الصبغة الشرعية، ما دفعه إلى التقدّم بعَرض فكرة الصلح على الإمام الحسن عليه السلام، وترَك للإمام عليه السلام أن يشترط ما يريد، وكان معاوية عارفاً بأنّ مثل هذه الفكرة ستثير الفِتَن بين صفوف أنصار الإمام عليه السلام، بل سيفضلونها على الذهاب إلى الحرب والقتال، وقد أثمرت فكرة الصلح نتائجها، فقد ذكر الشيخ المفيد في إرشاده: «أنّ أهل العراق كتبوا إلى معاوية السمع والطاعة، واستحثّوه على السَير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسَن إليه إذا شاء، عند دُنوّه من معسكرهم، أو الفتْك به» [المفيد، ١٩٩٥: ١٩٠]. إن الإمام الحسن عليه السلام لم يفكّر قطّ بالصلح مع معاوية أو مهادنته، غير أنّه بعد أن تكاثرت لديه الأخبار عن تفكّك جيشه، وانحياز أكثر القادة إلى جانب معاوية، قرّر أن يدفع بأعظم الضرَرَين:

١. الاستمرار بحرب خاسرة فيها فناؤه، وفناء أهل بيته وبقية الصفوة الصالحة.
٢. القبول بالصلح وحقن دماء أهل بيت النبوة والعصمة وبقية الصفوة الصالحة من شيعتهم، ليتّصل حبلهم بحبل الأجيال اللاحقة، وليصل إليها معالم الدين.

وهكذا اضطرّ الإمام الحسن عليه السلام الى الصلح، في محاولة ناجحة لكشف حقيقة معاوية، الذي انفرد بالحكم واستأثر بإدارة شؤون الأُمّة التي ساندته فرأت طبيعته وحكمه. فهو عليه السلام لم يسالِم معاوية رضاً به، ولا ترَك القتال جُبناً وخوفاً من الموت، ولا تجافى عن الشهادة طمعاً بالحياة، ولكنّه عليه السلام صالح حين لم يبقَ في ظرفه احتمال لغير الصُلح. ووقع الصلح في سنة الأربعين للهجرة.

والذي ينعم النظر في بنود الصلح سيرى أنّ الإمام عليه السلام وجد أنّ مصلحة الإسلام تكمن في الصلح، فصالح معاوية، وحقَن دماء أنصاره وأتباعه وسائر المسلمين، ولم يدخل في معركة خاسرة لا تُحسم لمصلحة الوجود الإسلامي، وقد كان هدف الإمام المجتبى عليه السلام تأسيس حكومة إسلامية للمستقبل القريب، فقوله عليه السلام: «**ما ندري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين**» في جوابه للمسيب بن نجيه ولآخرين عندما سألوه عن سبب سكوته، هو خير دليل وإشارة إلى هذا المستقبل [الخامنئي:٢٠٠٢، ١٤٣-١٤٦]. ومن أبرز بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية:

١. **البند الأوّل**: تسليم الأمر (الخلافة) إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنّة رسوله.

٢. **البند الثاني**: أن تكون للحسن عليه السلام الخلافة من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد بها إلى أحد.

٣. **البند الثالث**: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه في الصلاة، وأن لا يذكر علياً إلاّ بخير.

٤. **البند الرابع**: استثناء ما في بيت المال وهو خمسة ملايين درهم وتكون بحوزة الإمام الحسن عليه السلام، وأن يفضّل بني هاشم في العطاء والصلات على بني أُمية، وأن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وصفين مليون درهم.

٥. **البند الخامس**: الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم.

وجدير بالذكر أن معاوية كتب جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة والأيمان المغلّظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام.

ثانياً: مفهوم اللامعيارية (نظرية الأنومي Anomie)

يعد إميل دوركايم E.Durkheim أول من وضع هذا المصطلح عام ١٨٩٣ في كتابه «تقسيم العمل» فقد أظهر دوركايم جيداً اهتمامه بمشاكل ضعف الأخلاق العامة، وهو يرى أن الأنومي حالة طارئة تعبر عن فقدان المعايير الاجتماعية، ويواجه الأفراد اللامعيارية عندما لا تكون هنالك قيود أخلاقية كافية، أي عندما لا يكون لديهم مفهوم واضح عن ما هو صحيح ومقبول كسلوك وما هو غير ذلك. وتعد اللامعيارية من أبرز إسهامات عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم Durkheim (Émile)، فقد كان يرى في تفسيره للسلوك المنحرف بأنه نابع عن فهمه للفرد والمجتمع وتفاعل الأفراد داخل المجتمع وما ينتج عن ذلك من خلل بالمعايير الاجتماعية التي تسير المجتمع، ومن خلال توجيه الأفراد الى انماط معينة من السلوك عالية التقدير توصل الفرد الى المرتبة الاجتماعية المرموقة أو من خلال توجيهها الى السلوك المسموح به اجتماعياً، فإذا ما اختلت هذه المعايير وصل الفرد أو المجتمع الى حالة سماها دوركهايم أنومي، واشار دوركهايم الى مفهوم العقل الجمعي الذي يمثل الضابط لسلوك الأفراد داخل المجتمع آلي التضامن وهو يجسد المعايير الاجتماعية [الطخيس، ١٩٨٣: ٤٣].

وتعنى الأنومي لدى (دوركاهيم) انعدام قواعد ومعايير السلوك الواضحة. تعني اللا قانون واللا قاعدية وتشير جميعهاً الى التركيب الذي يؤدي إلى حالة اللانظام أو اللاقانون وإلى افتقار مفهوم السلوك إلى القاعدة والمعيار التي يمكن بها وبناء قياس عليها أو تميز السلوك السوي من السلوك غير السوي.

وقد جاء من بعده «روبرت ميرتن» R.Merton سنة ١٩٥٧ فطور هذا المفهوم في سياق النظريات المفسرة للظواهر الاجرامية، وقد طرح ميرتن نظريته في الأنومي

من خلال مجموعة من كتاباته حول البناء الاجتماعي والأنومي والانحراف وقد ظهر أول مقال له في ذلك عام ١٩٣٨ [خليفة، ١٤١٣: ٦٥]. ويرى روبرت أن الأنومي حالة ذهن الفرد الذي انتزع من اصوله الاخلاقية، إذ يصبح الانسان الأنومي في حالة عقم روحي مستجيباً لنفسه فقط غير مسؤول عمن سواه. وقد استعمل (هاولد لاسول) التفسير الاجتماعي للأنومي فهو يرى بأنه يتقص في تفقد في تحقيق التوحيد أو التوافق في جانب (الأنا الحقيقة) الاساسية للفرد مع الآخرين أي أنه يشعر بالعزلة النفسية، وذلك ناتج عن المفهوم الخاطئ للذات وعدم تقديره لذاته فيشعر أنه غير مقبول وغير مرغوب فيه وغير ذي قيمة [شتا، ١٩٧٧].

فمصطلح (الأنوميا الحديث) يعني بشكل عام «انعدام المعايير» وهو يرتبط مباشرةً بالنظم المعيارية التي تنبني عليها مختلف مظاهر التنظيم الاجتماعي، التي تسير مجتمعاً بشرياً معيناً، والتي تتجسد في مختلف المؤسسات أو الهيئات التي ترتبط مباشرةً بذلك المجتمع الذي توجد فيه ومن خلاله، من طريق نوع من العقد الاجتماعي القائم على أساس الثقة والتقبل والتفويض الذي تحصل عليه تلك المؤسسات، من أجل تسيير شبكة العلاقات والمصالح المتشعبة داخل المجتمع أو الدولة في إطار النظام والقانون، والذي بدوره يكفل للجميع حقوقهم ويوزع عليهم واجباتهم بشكل عادل ومنصف يضمن لهم تحقيق أهدافهم في الحياة، بحسب وضع كل فرد ومكانته ومؤهلاته، إذ يكون ذلك هو المبتغى النهائي لتلك المنظومة المعيارية [غيث، ١٩٩٥].

ويمكن النظر الى البناء الاجتماعي على أنه مجموعة من القيم المعيارية التي تضبط السلوك المتعارف عليه لدى جميع أفراد المجتمع، وعليه يمكن النظر الى الأنومي على أنه تحطيم المجتمع أو تفككه، ويحدث الأنومي عندما يكون هنالك

على وجه الخصوص تميز حاد بين الأهداف والقيم الاجتماعية وبين قدرات أفراد المجتمع لمراعاة هذه القيم والأهداف، ومن هذه الزاوية يمكن النظر الى أن الأهداف الثقافية نفسها ربما تساعد على انتاج السلوك المتعارض مع ما تقره القيم الاجتماعية نفسها [الخليفة،١٤١٣: ٦٦].

إن المعايير الاجتماعية تحدد ما يجب أن يكون وما يجب أن لا يكون، وما هو صحيح وما هو خطأ، وما يكون وما لا يكون، والمعيار »اطار مرجعي ينبع من التفاعل بين الأفراد، وتحكم بواسطته وفي ضوئه على السلوك في المجتمع« [شفيق، ٢٠٠٠: ١٣]. وتعرف اللامعيارية Anomie بأنها غياب منظومة أو نسق قيمي منسجم ومتكامل نتيجة لتعدد المؤسسات وتناقض المفاهيم والمعاني الرمزية التي تمررها عبر خطاباتها والتي تتسم بالاختلاف إلى درجة التناقض، فيصعب إدراك الصواب من الخطأ، والقبول من اللاقبول، والحسن من السيئ، من اللامنطقي واللامعقول، أي تضارب مقاييس الاستحسان والاستهجان كمقومات لعملية الضبط الاجتماعي غير الرسمي، فأي خلل قد يصيب هذه المنظومة المشكلة للمعايير التي تنظم و تسير المجتمع، يؤدي مباشرة إلى اختلال البناء الاجتماعي كله و من ثم ظهور الأنوميا [شتا، ١٩٧٧: ٦٥].

إن مفهوم اللامعيارية (الأنوميا) يُعد حالة من حالات اختلال القيم والمعايير ونمطا من أنماط السلوك المنحرف وقد تعني انعدام الثقة أو الشك وترتقي في بعض الحالات لتصل الى مستوى الاضطراب وعدم اليقين، وهي مصداق لانهيار المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك.

إن تعريفات اللامعيارية تبين أن النسق الاجتماعي يكون على صراع مع النسق الثقافي، ومع هذا الصراع ينتج لدينا ما يسمى (بالأنومي) لدى الأفراد الذين لا

يستطيعون التوافق مع هذا الصراع الثقافي الاجتماعي الدائم فينخرطون في السلوك الانحرافي. ولا يخفى أثر العوامل البيئية والثقافية، واحتمال أن يقوم الشخص بسلوك محرم اجتماعياً في غياب أي من المقيدات الاجتماعية معتمداً على الظروف المحيطة به، ولكن الفرد يمكن أن يضبط ويسيطر على سلوكه، بالعودة الى معايير السلوك الصحيحة التي تتسق مع المنظومة القيمية، فكل المجتمعات بصرف النظر عن مستوى تعقيدها وتطورها، تعد بعض أنواع السلوك محظورة أو ممنوعة [حسان، ١٩٨٩:٢٧٢-٢٧٣].

يشير الانحراف الى السلوكيات والتصرفات والتوجهات والمعتقدات والانماط التي تكسر أي مجتمع وقواعده واعرافه واخلاقياته إن علماء الاجتماع وتوقعات اعتبروا الانحراف خاصية للوضعية الاجتماعية والبنى الاجتماعية، وسلطوا الضوء ليس على عمليات كسر القواعد وانما كذلك على صناعة القواعد وتعزيزها ونقلها. ولا يوجد اتفاق ثابت على جوهر الانحراف، ففي الواقع يرى علماء الاجتماع الذين بحثوا الانحراف أن تحديد معناه وردة الفعل المجتمعية ازاءه يعتمدان على سياق كلام الشخص وسيرته وهدفه. ويعرف الانحراف لغوياً بأنه: «الخُروجُ عَنْ جادَّةِ الصَّوابِ، الابْتِعادُ عَنْها، وَالانْحِراف مُصْطَلَحٌ في عِلْمِ النَّفْسِ الاجْتِماعِيِّ يَعْنِي الخُروج عَنْ ما هُوَ مأْلوفٌ وَمُتَعارَفٌ عَلَيْهِ مِنْ عادَاتٍ وَسُلوك».

ومن وجهة النظر النفسية فإن المنحرف هو من يعاني اضطرابات و صراعات نفسية يفصح عنها بأشكال من السلوك المنحرف، وبأسلوب يؤذي نفسه أو غيره، وهو بذلك لا يختلف عن المريض نفسيا، ويمثل الانحراف عادة محاولة لحل مشكلة خطيرة أو بعيدة الأثر في نفسية المنحرف، وبعبارة أخرى فإن علماء النفس ينظرون إلى شخصية المنحرف، وليس إلى الفعل نفسه، ولذلك فهم يفرقون بين المنحرفين

المرضى والمنحرفين الأسوياء، على اعتبار أن الانحراف في الحالة الأخيرة مرده إلى المجتمع وظروفه، وليس إلى الفرد نفسه، كالذي يقتل أو يجرح شخصا، مثلا، دفاعاً عن عرضه لأن الأعراف أو القيم المحلية تدفعه لذلك الفعل، فالانحراف في مثل هذه الحالة هو من وجهة نظر القانون، أو من وجهة نظر المجتمع العام، وليس من وجهة نظر التكوين النفسي المضطرب أو المختل ولهذا نجد علماء النفس لا يهتمون بالمنحرفين أو المجرمين الذين لا تعبر جرائمهم عن هذا الاضطراب أو الخلل أو المرض النفسي، لأنهم مجرمون بدون شخصية إجرامية.

ويمكن تعريف الانحراف على أنه «اعتداء على قوانين المجتمع، ونظمه بسلوك يعبر عن اضطراب الشخصية (اجتماعياً، ونفسياً) يدفع إلى الفعل اللاسوي، ويقضي بمعاقبة مرتكبه، ليتم إيداعه بفعل سلوكه ذاك داخل مؤسسة إعادة التربية لإعادة تأهيله».

وترتفع نسب السلوك المنحرف بين الأفراد الذين لا يعطيهم المجتمع الفرص الكافية والظروف المساعدة على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم خصوصاً عندما يطلب منهم الوصول إلى الأهداف الاجتماعية العليا التي يثمنها المجتمع، والانحراف أمر نسبي أي يختلف من مجتمع إلي آخر باختلاف قيم الثقافة، فالسلوك الذي يعد منحرفًا في مجتمع ما قد لا يعد منحرفًا في مجتمع أخر، والانحراف أمر نسبي أيضًا في ضوء الموقف الذي يحدث فيه؛ فالقاتل يعد منحرفًا ولكن الجندي الذي يقتل في معركة عدوًا دفاعًا عن الوطن لا يُعد منحرفًا، وأيضًا مدمن المخدرات يعد منحرفًا ولكن المريض الذي يعالج بعقاقير مخدرة لتخفيف آلامه لا يعد منحرفًا.

ولانتشار اللامعيارية في مجتمع من المجتمعات عدّة مؤشرات فيُعد معدلها عالياً على مستوى النظام الجتماعي عندما يسود المجتمع نقص في الإجماع على المعايير،

وعندما تسوده علاقات تبنى على الشك وعدم تصديق الآخرين، وتدني حالة الأمن والأمان، واذا وصل معدل اللامعيارية الى المستوى الذي لا يستطيع الناس أن يتفقوا بدرجات كافية في أن يكون سلوك الآخرين مطابقاً للمعايير المشروعة، فإن هذا يعني أن أزمة اللامعيارية هي أزمة اجتماعية وليس أزمة تخص جماعة محددة من أعضاء المجتمع.

إن حالة اللامعيارية السلوكية هذه تحدث نتيجة لعوامل نفسية واجتماعية تتسم بألم نفسي ناتج عن فقدان قيمي واقعي أو ذهني، يجعل الفرد عرضة للشعور بالاغتراب النفسي والثقافي معا، هذه الخبرة النفسية المؤلمة تشكل كما أثبتته العديد من الدراسات جواً خصباً لتفاقم اللامعيارية بأشكالها ودرجاتها المختلفة. ومن آثارها التمرد على القيم، والعنف اللفظي والجسدي، وأعمال الشغب، وتخريب الأشياء، والإرهاب والإجرام، فتلك الظروف المجتمعية تعجز عن قيادة الأفراد إلى مواقعهم المناسبة في المجتمع، فتنشأ عنها صعوبات التوافق الاجتماعي، وهذا يؤدي إلى الإحباط وعدم الرضا عن المنظومة الاجتماعية، ومن ثم يكون فاتحة لتطور تدريجي – تراكمي لمفاهيم جديدة ذات مضامين «صراعية أو ثأرية» تؤدي في النهاية إلى انتشار الفوضى وذلك سعي الأفراد بل تسابق إلى تحقيق أهدافهم المشروعة بطرق غير مشروعة.

ولما كانت مؤسسات المجتمع عاجزة عن تنظيم أدوارهم – و هو ما يؤدي إلى الانحراف والتمرد على القانون، الذي يأخذ عادة طابع التبرير لتلك السلوكيات المنحرفة من وجهات نظر شخصية ذاتية، بعيدة عن النضج الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي للفرد الأنومي، الذي يُعبر في هذا النموذج النظري عن شذوذ فكري وسلوكي، يتكون ويظهر بسبب خلل في البناء الاجتماعي أو الثقافي المهيمن وليس

بسبب الفرد في حد ذاته. ويُجمع علماء الاجتماع و الإجرام على أن ظاهرة الأنوميا أو أزمة غياب المعايير، تنشأ وتتطور داخل أي مجتمع في عدة حالات ترتبط بالتطور السياسي والاجتماعي والثقافي لذلك المجتمع، و في العادة تكون بسبب أحداث طارئة وكبرى أو تغيرات سريعة و جذرية يتعرض لها المجتمع.

وبالرغم من أن النظريات المفسرة لأزمة الأنوميا ترجع اسبابها إلى حالة النظام الاجتماعي وليس إلى الفرد في حد ذاته، إلا أن الفرد النافذ أو المجموعة الصغيرة النافذة عندما يعتديان على المعايير المُتفق عليها، فقد يُمهد ذلك للوضع الذي ستتشكل بسببه الحالة الأنومية مستقبلا.

إن امتناع الفرد عن ممارسة سلوك محرم على الرغم منتوافر الظروف المناسبة ووجود الحاجة البيولوجية هي التي تحدد مدى ممارسة الفرد ضبطه ذاته، وابتعاده عن السلوك اللامعياري فالنظام البيولوجي للفرد وما يرتبط به من حاجات هي التي تحدد مدى قدرة الفرد على ضبط ذاته، وإن قناعة الفرد الذاتية بأن لديه الكفاءة المطلوبة لكي يغير سلوكه، تعد عاملاً مهماً في ضبط الذات وسلوكه ضمن المعايير والنظم والاعراف السائدة [حمدي، ١٩٩٢: ٤٢].

وقدرة الفرد على التخطيط وممارسة السلوك الفاعل الذي يحقق النتائج المرغوبة في موقف ما والتحكم في الأحداث والمواقف المؤثرة في صيانة النشاط النفسي وفاعليته (والذي نعني به السلوك السوي) فتحدد السلوك المتوقع الذي يقوم به الفرد في مواجهة المشكلات والتقلبات والإغراءات النفسية والمادية وهي بذلك لا تحدد نمط السلوك فحسب ولكنها تحدد أيضاً أنماط السلوك الأكثر فاعلية والأكثر اتساقاً مع المعايير [عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٦٣٧].

إن السلوك السوي هو السلوك الذي يُعد هدفاً مثالياً، والذي يمارس فيه الفرد قدراته وإمكاناته ومسؤوليته في اختياراته المقبولة اجتماعياً التي يسعى من خلالها إلى تحقيق ذاته والتوحد معها، الذي يتصف بالشجاعة في مواجهة المستقبل مهما كان مؤلماً، وعزمه على اتخاذ القرارات المهمة، وقدرته على السيطرة والضبط في تعبيره عن انفعالاته وامتلاكه توافقاً مع الآخرين قائما على الحب والتفاعل الذي لا يلغي خصوصيته وتفرده معهم [سيدني، ١٩٨٨: ٣٦].

إن الفرد الذي يملك سلوكا معياريا مطابقا لما هو سائد في مجتمعه يكون ملتزما بما يمليه ضميره ويتقيد بالقيم الأخلاقية بصرامة. وإن هذا الجانب يقوم به؛ لأنه يتحسس بالواجب. والأفراد من هذا النوع يلتزمون على نحو صارم بمبادئهم الأخلاقية، وينجزون بدقة التزاماتهم وتعهداتهم الأخلاقية. أما الآخرون فيكونون غير مبالين أكثر بمثل هذه الأمور ويمكن أن يكونوا إلى حد ما لا يعتمد عليهم أو غير موثوق بهم.

ثالثاً. صفات الأفراد ذوي السلوك اللامعياري

وعلى وفق ما جاءت به النظرية اللامعيارية (الأنومي) في تفسيرها للسلوك المنحرف فقد استخلص الباحث مجموعة من الصفات للأفراد الذين يمتلكون سلوكا غير معياري يمكن اجمالها بما يأتي:

١. غير مبالٍ بما يملي عليه ضمير ولا يعتمد عليه أو غير موثوق به.

٢. سلوك غير مطابق لما هو سائد في مجتمعه ولا يكون ملتزما flh بما يمليه ضميره ولا يتقيد بالقيم الأخلاقية، والأفراد من هذا النوع لا يلتزمون على نحو صارم بمبادئهم الأخلاقية، ولا ينجزون بدقة التزاماتهم وتعهداتهم الأخلاقية.

٣. شخصية وصولية وغير متكاملة وغير قادرة على استثمار قيمها في الوصول الى أهدافها.

٤. التمرد على القيم سواء كانت هذه القيم مطابقة للواقع الشرعي أو كانت قيما سائدة.

٥. يميل الى التمرد على القانون، الذي يأخذ عادة طابع التبرير لتلك للسلوكيات المنحرفة من وجهات نظر شخصية ذاتية، بعيدة عن النضج الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي للفرد الأنومي.

٦. لديهم شذوذ فكري وسلوكي، يتكون ويظهر بسبب خلل في البناء الاجتماعي أو الثقافي المهيمن.

٧. لديه قابلية على التخلي عن المبادئ والمثل التي يؤمن بها ويظهر خلاف ذلك.

٨. غير واع بذاته وغير مدرك لمدى الانحراف عن الخط السوي في السلوك مع الآخرين.

٩. يسعى إلى تحقيق أهدافهم المشروعة (من وجهة نظره) بطرق غير مشروعة.

١٠. يشعر نتيجة لوعيهم بأسلوبه المنحرف وطرقه في تضليل الرأي العام بعكس ما يضمرون وما يعتقدون ويحاولون طمس الحقائق وتزيين الأحداث.

في ضوء العرض السابق للإطار النظري تبين للباحث مدى أهمية إلقاء الضوء على متغير اللامعيارية (الأنومي) وعن الكيفية التي يتم فيها تفسير السوك على وفق هذه النظرية، وكذلك المؤشرات الدالة على تنامي وانتشار ظاهرة الأنومي. وبناء على ما تقدم عرضه فقد أصبح واضحاً لدى الباحث آلية تفسير السلوك المنحرف والخارج عن الضوابط النفسية والاجتماعية والنفسية والمعايير التي تحكم المجتمع

وعليه فإن البحث يحاول الكشف عن اللامعيارية في سلوك المناهضين للإمام الحسن عليه السلام والمشككين به قبل الصلح وبعده ليتم من خلاله الكشف عن دوافع هذا النوع من السلوك لدى هاتين الفئتين.

الأساليب اللاقيمية لدى المناهضين للإمام الحسن عليه السلام قبل الصلح بحسب مفهوم اللامعيارية

إن معاوية بن أبي سفيان لم يكن نداً شريفاً للإمام الحسن عليه السلام سواء من الجانب الاخلاقي أو الجانب الديني أو الجانب العسكري فهو لم يستعمل الآليات المتعارف عليها لدى العرب في إدارة الصراع فقد كان للعرب حتى في الجاهلية قوانين وقواعد وأعراف تتبعها في الحروب والصراعات والغزوات مستمدة من قيمهم وأعرافهم ومن يخرج عما هو مألوف لديهم يُنبذ ويُعزل وينظر اليه بنظرة دونية، الا أن معاوية الذي لا يتطلّع إلاّ إلى الحكم والرّئاسة، ولا يتردّد -في سبيل الوصول إليهما- من الإقدام على أيّ عمل، مهما كان عمله باطلاً وبعيداً عن الحقّ. وبدلاً من أن يستجيب لنصائح الإمام عليه السلام، فقد أرسل جواسيسه إلى الولاة والقادة، يمنّيهم بالأموال والعطايا، والجاه والمناصب، إن هم ابتعدوا عن الإمام ووقفوا إلى جانبه، وقد قبل الكثيرون منهم عروض معاوية وإغراءاته، ونقضوا عهودهم مع الإمام عليه السلام الشرعيّ، وانضمّ بعضهم علناً إلى معسكر معاوية، وعرض عليه بعضهم الآخر أن يلقوا القبض على الإمام عليه السلام ويرسلوه إليه أسيراً لكنّ معاوية الدّاهية المخادع، طلب إليهم أن يبقوا كما هم عليه، حتى إذا اندلع القتال، انقلبوا على الإمام عليه السلام وخذلوه. ومضت شهور اشترى معاوية فيها بأمواله وهداياه كثيراً من زعماء القبائل، ممّن اعتاد على قبول الأموال والرّشاوي، وممّن هو على استعداد لبيع نفسه ودينه وضميره بثمنٍ بخسٍ. لقد أدرك أولئك الزّعماء أنّ طريق الإمام عليه السلام هو

طريق أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ الطريق الآخر هو طريق المغانم والكسب الوفير، فاختاروه، وباعوا دينهم بدنياهم، وبأبخس الأثمان رغم علمهم «أن معاوية شارك في محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله في بدر وأحد والأحزاب، وهو من الطلقاء، وقد كان من الأحزاب الذين حاربوا الرسول صلى الله عليه وآله في معركة الخندق، وأنه من الملعونين في القرآن الكريم على لسان الرسول محمد صلى الله عليه وآله [المعتزلي، ٢٠٠٧: ١٢].

نلاحظ إذن أن حالة الفوضى و الرداءة و الفكر الصراعي التي تميز مظاهر حياة الإنسان الأموي اليومية وعلى جميع الأصعدة تقريباً، تؤشر إلى حالة التشوّه و التفتت التي يعانيها البناء الاجتماعي كله، فالمنظومة المعيارية أضحت عاجزة عن قيادة الأفراد إلى أماكنهم المناسبة في المجتمع بالطرق السليمة والنزيهة، وهو ما يعزز أكثر فأكثر حالة عدم التوافق والاغتراب داخل المجتمع والإحباط، التي تعزز مجموعة التصورات والقيم التي لا تزال تأخذ مكانها بقوة في الوعي الجمعي للأمويين بعد مقتل الامام علي عليه السلام وهي قيم ليست سليمة، ولكنها تلقي بثقلها الشديد لتصوغ شكلاً محدداً من العلاقات الإنسانية داخل المجتمع، يتسم بسلوكيات منحرفة، تسيطر عليها قيم سلبية كقيم استغلال القوة والنفوذ والسلطة للهيمنة، أو الاحتيال على القانون والغش وثقافة الرشوة وغيرها، كطرق وأساليب غير مشروعة لتحقيق الأهداف والطموحات لدى مختلف الشرائح في المجتمع الأموي. من الطبيعي أن ينجح معاوية بمثل هؤلاء التافهين الحريصين على الدنيا في تحقيق أهدافه غير المتسقة مع النظم الاسلامية والخلقية.

فلقد كان معاوية بن أبي سفيان يستحوذ عليه هوس الحكم وجنون السلطة وهو لا يملك سوى التحكم برقاب الناس وراثة عن أبيه الذي كان يعطي الحق لنفسه حاكما على قريش وسيدها دون منازع، وقد نسى أنه وأباه طليق عفو رسول الله صلى الله عليه وآله،

فهم لا يحتملان من أمرهما غير الطاعة والسكون لما تؤول اليه أمور المسلمين وما يقرره أهل الحل والعقد أو حاكمية الخليفة الشرعي [الطبري،١٩٩٢: ٣٢-٣٣]. قام معاوية بن أبي سفيان بقتل الزاهد حجر بن عدي وسبعة من أصحابه، وقتل محمد بن أبي بكر ومالك الأشتر بالسم [الفراتي،٢٠٠١: ١١]، ولم يكن هذا السلوك سائداً فقد كان المسلمون يبجلون الصحابة ويضعون لهم منزلة عظيمة الا أنه اقدم على قتلهم بدم بارد خالٍ من المشاعر والاحاسيس الانسانية.

وإن أمره أهل الشام والكوفة بشتم علي بن أبي طالب عليه السلام في قنوت الصلاة وخطبة الجمعة وهو يعلم والشاميون أيضاً يعلمون أنه صحابي وخليفة فضلاً عن قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال بحقه الرسول صلى الله عليه وآله ما قال و خصه بالفضائل مالم يخص أحد بها غيره وعلى الرغم من معرفتهم بل يقينهم بكل خصاله الحميدة الا أنهم امتثلوا لأمر معاوية وانحرفوا عن الخط المحمدي بتقبلهم الشتم دونما تردد فالانحراف عن الثوابت الإسلامية والادعاء بأنهم مسلمون يُعد تناقضا سلوكيا، فهم يسلكون بما تمليه عليهم رغباتهم وشهواتهم وأهدافهم لا كما يمليه عليهم الشارع المقدس والسيرة النبوية الشريفة وهذا قطعاً يمثل خروجا عن المألوف وتمردا على القانون الإلهي الذي نستمد منه القوانين الوضعية في إدارة شؤون المجتمع. وفي رسالة معاوية الى محمد بن أبي بكر ذكر فيها «كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه -يريد بذلك الامام علي عليه السلام- وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا ثم أنهما دعواه الى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما» [الفراتي،٢٠٠١: ٤١]، وفي ذلك نرى معرفة ويقين معاوية بأحقية علي عليه السلام في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه خالف الحق وخالف معرفته به ومعرفة الحق والابتعاد عنه يُعد سلوكا لا معياري مبنيا على مخالفة الحقيقة وتحريفها وتسويف الأمور بما تتمنى النفس وليس بما يحفظ الحق لأهله.

إن الحقد والبغض الدفين في دماغ معاوية تجاه الحسن وأبيه عليهما السلام لاشك أنه مما حدث في معركة بدر والخندق وفتح مكة فروح العصبية والقبلية والثأر ليس من الصفات التي ينادي بها الإسلام بل نهى عنها فكيف لرجل يتمسك بما نهي عنه ويصر عليه ويزهق الأرواح ويقطع الأرزاق عن بني هاشم وعن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ويصعد منبر المسلمين ويعظ الناس ويحثهم على أن يتقوا الله بل كيف يبيح لنفسه أن يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله رغم علمه وقناعته بأن ما يقوم به من سلوك هو لا يعدو كونه تمثيلا لإقناع السذج والمتعاشين على دنانيره ودراهمه، وهذا يمثل ازدواجية المعايير، وقد استثمر معاوية الطابور الخامس في تحريك الجبهة الداخلية وأبرزهم الخوارج ولم يكن ذلك سائداً في طبيعة الحروب وادارة الصراعات لدى العرب.

وكما هو معلوم أن حب الإمام الحسن عليه السلام واجب شرعي في الإسلام لقوله تعالي ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ فقد حصر الله تعالى في محكم كتابه أجر الرسالة في حب قربى الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وهم أهل بيته والحسن عليهما السلام [الفراتي،٢٠٠١: ٨]. وقد ورد في تاريخ الطبري لما نزلت هذه الآية الكريمة سئل المسلمون من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «**علي وفاطمة وابناهما**»، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مورد آخر «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**» [الطبري،١٩٩٢: ٧٤-٧٥]، فكيف لمن يبغض رسول الله صلى الله عليه وآله يكون خليفة له ويحكم بحكمه، فلم يكن معاوية من الخلفاء وإنما من ملوك بني أمية. فيما كان الإمام الحسن عليه السلام من الخلفاء باتفاق المسلمين، ولذا تراهم يدرجونه في ضمن قائمة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بايعه المسلمون اختياراً منهم دون إكراه أو إجبار كأبيه المرتضى علي عليه السلام [الفراتي،٢٠٠١: ٩،١١]. فتقمص دور الخلافة وهو ليس منها بشيء سلوك لا معياري، ومحاربة خليفة بايعه

المسلمون والخروج عليه سلوك لامعياري هو الآخر فتجلت اللامعيارية لدى معاوية في خروجه عن احكام السماء. تستند المعايير الاجتماعية الى القيم والتعاليم الدينية والاخلاقية وتشكل الاطار والخلفية لما يسمى عادات المجتمع وتقاليده، وتشكل غالباً المرجعيات التي تحكم من خلالها على السلوك في كونه مسموحاً أو غير مسموح ولذلك تقف عادات المجتمع وتقاليده المجسدة لتعاليم الدين والأخلاق في وجه أي فرد تسول له نفسه الانزلاق فيما يرفضه المجتمع أو فيما تقوده اليه الغرائز أو الأهواء.

ولم يكن معاوية في حسابات الحسن بن علي عليهما السلام الا صعلوكاً قد فرَّ بغوغاء أهل الشام عن طاعة الخلافة فلم يتح له التفكير في أن يستقل وتمادى بغيه [الحلو، ١٤٢٥هـ: ٥٦] ولا شك أن تشخيص الامام عليه السلام مستند الى المبادئ والقيم السماوية فهو مؤشر على انحراف سلوك معاوية والحزب الأموي وتقمصهم حالة اللامعيارية بامتياز.

نمط السلوك التشكيكي والتبريرات اللامنطقية لدى المشككين به عليه السلام بعد الصلح

لابد من الإشارة قبل البدء بالحديث عن المشككين بالإمام الحسن عليه السلام الى تركيبة جشيه عليه السلام فهو يتكون من الفئات الأتية:

١. بعضهم شيعة له ولأبيه، وهم أتباع ومحبو الإمام علي عليه السلام وأهل بيته بإخلاص.

٢. بعضهم كارهون للإمام علي عليه السلام ولعثمان وهم الخوارج الذين يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة بغضاً بمعاوية لا حباً بالإمام الحسن عليه السلام.

٣. وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، أصحاب المطامع الّذين خرجوا طمعاً بغنائم الحرب.

٤. وبعضهم شكّاك لا يرون للحسن أي أفضلية على معاوية.

٥. وبعضهم أصحاب عصبية اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين أولئك الّذين شاركوا في الحرب، إطاعة لرؤساء عشائرهم، وليس لهم باعث ديني.

عندما قال قسم من أصحابه عليه السلام «كفر الحسن كما كفر أبوه من قبل» وهم يعلمون بأنه امام مفترض الطاعة وقد بايعوه كما بايعوا أباه عليه السلام من قبل تجسد لديهم ازدواجية السلوك وانحرافهم عن المعايير الخلقية ودفعتهم أهواؤهم عن عهودهم التي قطعوها على أنفسهم ولكنهم خذلوه وشدّوا عليه وسرقوا متاعه وقالوا إنه مُذل المؤمنين.

لم يكن معاوية قد نسي مرارة حرب صفّين، ولا تزال ذكرى سيوف أصحاب عليّ عليه السلام تصيبه بالارتجاف، لذا فقد صمّم على أن يتوسّل الحيلة والخداع في حربه هذه، فأرسل موفداً إلى عبيد الله خفية يعرض عليه ألف ألف درهم (مليون درهم)، إن قبل أن ينفض يديه من هذه الحرب، على أن يدفع له نصف المبلغ في معسكره إذا أتى إليه، والنصف الآخر في الكوفة، بقي عبيد الله أيّاماً وهو حائر في أمره، فهو يعلم أنّ قلّةً من الناس قد استجابوا لدعوة الإمام عليه السلام، بينما يقود معاوية جيشاً لجباً، وتصوّر أنّ جيش معاوية سينتصر لا محالة، فلمَ التردّد؟ والعرض فيه إغراء كبير؟ صمّم عبيد الله أخيراً، واتّخذ قراراً ملؤه الخجل والعار، وفي منتصف تلك الليلة. انسحب مع مجموعةٍ من أعيان الجيش وقادته نحو معسكر معاوية، لقد اختار أن يبيع الله ورسوله وإمامه ودينه بثمنٍ رخيصٍ، وأن يفوز بوصمة عارٍ لن تفارقه إلى الأبد.

ثم اجتمع الناس لصلاة الصّبح وانتظروا عبيد الله كي يؤمّهم في الصلاة، اذ من المقرّر أن ينطلقوا بعد الصلاة إلى القتال، فقد استسلم عبيد الله ومعه ثمانية آلاف جندي الى معاوية ومن قبلهم الحكم، حتى سمعوا منادياً من معسكر أهل الشام يقول: أيّها الناس تفرّقوا وعودا إلى بيوتكم فإنّ عبيد الله وأنصاره في معسكر معاوية وقد اختاروا الصّلح على الحرب فلا خير في قتال الإخوة وقد كان عبيد الله الرجل الأوّل بعد الإمام في إمرة الجيش، وكانت خيانة هذا الرجل باعثاً على تخاذل الكثيرين، كما خُدِع آخرون بدعوة السلام الكاذبة وشرعوا يتفرّقون كلّ في اتّجاهٍ. وهؤلاء اشتراهم معاوية بأموال لم يكونوا يحلمون بها مع الإمام عليه السلام فحركت الدنيا وعيهم وأسدلوا الستار على ايمانهم، وهذا السلوك الذي يبتعد عن المثل والقيم والمبادئ وطاعة من أوجب الله طاعته لا شك أنه سلوك لا سوي وسلوك لا معياري كما أشارت الى ذلك نظرية اللامعيارية.

لقد وصل الحال بالإمام الحسن عليه السلام أن اقتحم بعض الذين اتهموه في صلحه مع معاوية خيمته وعاثوا فيها حتى أنهم شدوا ما كان يصلي عليه. ثم هجموا عليه ولكن مجموعة من خلص شيعته أحاطوا به و حموه منهم. واتهمه رجل من بني أسد بالشرك اسمه (الجراح بن سنان) بعد أن أمسك بزمام بغلته وطعنه في فخذه حتى العظم.

إن الخوارج لم يكتفوا بالانسحاب من الحرب بل ترى هذه الجماعة قتل الإمام عليه السلام واجباً لأنهم أرادوا الإمام عليه السلام من أجل قتل معاوية وإذا بهم يسمعون أن الإمام عليه السلام قد صالح معاوية، فيُعد هذا تعبيرا عن مدى تخليهم عن العهد وتجردهم من المصداقية التي تنادي بها ابسط المعايير الإجتماعية من أجل اهداف رسموها لأنفسهم ويرمون الوصول اليها بغض النظر عن الوسائل سواء أكانت مطابقة

للنظم الإجتماعية أم لا، ومؤكد هذا السلوك يصنف على أنه سلوك لا معياري، فقد استطاع معاوية أن يحرك الخوارج حتى طعنوا الإمام في فخذه.

إن سرعة تأثر المشككين بالإشاعات التي أثارها معاوية بن ابي سفيان وانصياعهم لها بل ساعد بعض على انتشارها مما يدل على عدم ثقتهم وقناعتهم «وهي احدى أبرز ركائز السلوك اللامعياري» وأن عدم تفاعلهم مع خطط الإمام عليه السلام الذي يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أيضاً في حقّه عليه السلام: «**لو كان العقل رجلاً لكان الحسن**» [الخراساني: ج٢، ص ٦٨]. وانسياقهم وراء الأكاذيب وعدم توطين نفوسهم على العمل تحت راية الأمام المعصوم عليه السلام، دليل على نكثهم العهد وتنصلهم من المسؤولية الشرعية وإبتعادهم عن القيم الإسلامية والثوابت الشرعية التي تأمرهم بالطاعة كون الإمام عليه السلام معصوما من الزلل والواجب طاعته وعدم الرد عليه، الا أنهم اختاروا لأنفسهم هذا السلوك اللامعياري تماشياً مع أهواء النفس وطموحات وأهداف مبهمة لا يستطيعون تحقيقها لو تمعنوا النظر في مجريات الأحداث، وفعلا لم يحققوا سوى الذل والخسران ونالوا ما نالوا من الحزب الأموي بعد أن تمكن من رقابهم. فقد خان بعض رؤساء القبائل والشخصيات المنحدرة من عوائل كبيرة الإمام الحسن عليه السلام وراسلوا معاوية وأعلنوا عن حمايتهم لحكمه وشجعوه على المسير نحو العراق سرّاً واعدين إيّاه أن يسلّموه الحسن عليه السلام حياً أو ميتاً إذا ما وصل هو إليهم، فأرسل معاوية نفس تلك الرسائل إلى الإمام، وقال له: كيف تقاتلني وأنت تثق وتعتمد على هؤلاء؟

فقد ذكر ذلك الإمام الحسن عليه السلام في بعض اجاباته لمن حوله فقد قال عليه السلام «**والله لو كنت قاتلت معاوية لسلمني الناس إليه**» [المجلسي، ١٩٨٣: ٤٤]، وقال عليه السلام ايضاً «**والله ما سلمت الأمر إليه، إلاّ أنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته**

ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، انّهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا في فعل، انّهم لمختلفون يقولون لنا انّ قلوبهم معنا وانّ سيوفهم لمشهورة علينا» [الطبرسي: ١٩٨١، ١٥١].

التوصيات

١. تشكيل ورش ارشادية وتعبويه تساهم في التخلص من بعض السلوكيات اللامعارية.

٢. توعية أفراد المجتمع بالقيم والمعايير التي يصنف من خلالها السلوك على أنه معياري أم غير معياري.

٣. تعاون خطباء المنبر الحسيني وأساتذة التربية الإسلامية على إبراز المثل العليا والسلوكيات المتسقة مع منظور الأئمة الأطهار والمطابق الى الشريعة الحقّة، التي تمثل السلوك المتسق والمطابق للشريعة الإسلامية.

٤. تفعيل دور وسائل الإعلام المرئي والمسموع من خلال عقد ورش العمل واللقاءات الإعلامية لتوكيد نبذ السلوك المنحرف واللامعياري وحث المجتمع على الالتزام بالمبادئ والقوانين السائدة.

٥. تضمين المناهج الدراسية القيم الخلقية والمبادئ التربوية الحسينية التي تسهم في بناء الجوانب الخلقية والنفسية جنباً إلى جنب مع الجوانب المعرفية، وضرورة الانتباه إلى أهمية غرس القيم الفاضلة والخصائص الإيجابية منذ الصغر داخل الأسرة والمدرسة والجامعة كي تصبح سمات مميزة لشخصية الأبناء، والتي من شأنها ترسيخ السلوكيات السوية.

المقترحات

١. دراسة اللامعيارية لدى معتنقي الفكر التكفيري.

٢. بناء برنامج ارشادي لتعديل السلوك اللامعياري.

٣. اجراء دراسات مماثلة للسلوك اللامعياري لدى المناهضين لبقية الأئمة عليهم السلام.

٤. اجراء دراسة عن دور المجالس الحسينية في ابتعاد الشباب عن اللامعيارية.

٥. إجراء دراسة عن تقمص الأدوار في انتشار السلوكيات اللامعيارية لدى الشباب.

٦. اجراء دراسة عن آليات تنشيط دور المؤسسات التربوية في ابتعاد الطلبة عن السلوك اللامعياري.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإمام الخامنئي، علي الحسيني (٢٠٠٢): الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت عليهم السلام، الدار الإسلامية. بيروت، لبنان.

٢. حسان، شفيق فلاح (١٩٨٩). اساسيات علم النفس التطوري، ط١، مكتبة الرائد العلمية.

٣. الحلو، محمد علي(١٤٢٥هـ): الحسن بن علي عليه السلام رجل الحرب والسلام، مؤسسة السبطين العالمية، ايران.

٤. حمدي، نزية (١٩٩٢) فاعلية الضبط الذاتي في خفض سلوك التدخين، الجامعة الاردنية، دراسات، م٢٩، (أ) ن ع٢، ٣٤-٧٠.

٥. الخراساني، ابراهيم بن محمد ابن المؤيّد الجويني الحمويني: فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، ج٢.

٦. الخليفة، عبد الله بن حسين(١٤١٣هـ): المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض، مركز ابحاث مكافحة الجريمة، السعودية.

٧. سيدني.م. جواردر، لنرزمن، (١٩٨٨). الشخصية السليمة، ترجمة حمد الكربولي، موفق الحمداني، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد.

٨. شتا، السيد علي(١٩٩٧): اغتراب الانسان في التنظيمات الصناعية، مؤسسة شباب الجامعة، السعودية.

٩. شفيق، محمد (٢٠٠٠): العلوم السلوكية مدخل الى علم النفس الاجتماعي، المكتبة الجامعية الحديثة، الرياض.

١٠. الطبرسي، ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب (١٩٨١): الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: السيد محمد باقر الموسوي الخرسان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، مؤسسة اهل البيت عليهم السلام.

١١. الطبري، ابو القاسم سليمان الشامي(١٩٩٢) اخبار الامام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٢٦٠هـ) حققه شجاع ضيف الله، دار الأوراد، الكويت.

١٢. الطخيس، عبد الرحمن(١٩٨٣): علم الاجتماع الجنائي، دار العلوم، الرياض، السعودية.

١٣. عبد الرحمن، محمد السيد (١٩٩٨): دراسات في الصحة النفسية، ج٢، دار قباء، القاهرة، مصر.

١٤. غيث، محمد عاطف (١٩٩٥): تطبيقات في علم الاجتماع، دار الكتب الجامعة، الاسكندرية، مصر.

١٥. الفراتي، فاضل (٢٠٠١): المعاهدة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان.

١٦. المجلسي، محمد باقر(ت:١١١هـ). بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ٤٤/ ٣٢٩، التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٧. المعتزلي، إبن أبي الحديد(٢٠٠٧): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابراهيم، دار الكتاب العربي، دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي(١٩٩٥): الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

19. Anomie At The Opponents and A Skeptic In Imam Hassan before and after The Magistrate (Analytic Study).

20. Lecturer: Haleem Skheil Al-Anckwshi (Ph.D.).